

# الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير: طه حسين

## فرنس

١٧٩	.....	طه حسين	في الأدب الفرنسي — جان بول سارتر
٢٠٣	.....	محمد كامل حسين	والسينما
٢٠٨	.....	محمد رفعت	أحمد لطفى السيد والدعوة إلى أرسطو
٢١٧	.....	سليمان حزين	في هيئة الأمم المتحدة
٢٢٩	.....	عبد الرحمن صدق	دولة باكستان
٢٣٥	.....	سليم حسن	المدينة الخالدة (قصيدة)
٢٤٧	.....	محمد هاشم عطيه	كليوباترا من أعف نساء عصرها
٢٥٣	.....	إدريس الجاى	في الرحلة إلى النجف الأشرف
٢٥٧	.....	هيلديه زالوشر	الفردوس المفقود (قصيدة)
	.....		الأزمة الراهنة للفن

من هنا وهناك (على عبود — على حافظ)

شهرية الفلسفة — شهرية السينما — من كتب الشرق والغرب  
من وراء البحار = ظهر حديثاً — في مجلات الشرق  
في مجلات الغرب



تصدرها دار الكاتب المصري  
مركز سامية مصرية  
القاهرة

# الكاتب المصري



نوفمبر ١٩٤٧

ذو الحجة ١٣٦٦

مجلد ٧ - عدد ٢٦

السنة الثالثة

## في الأدب الفرنسي

جان بول سارتر والسينما

تساءل الكاتب الفرنسي المعروف جان بول سارتر عن الأدب ما هو وماذا ينبغي أن يكون؟ ودفعه هذا التساؤل إلى أن يضع كتاباً قيماً لم يظهر بعد في مجلد، ولكنه نشر تفاريق في مجلة «العصور الحديثة»، وقد عرضنا لهذا البحث بشيء من التقدير المفصل، في عدد يونيو الماضي من هذه المجلة. والفكرة التي دار حولها هذا الكتاب القيم هي مقدار ما يكون بين الأديب وبين قرائه من الاتصال من جهة، ومقدار ما ينبغي أن يحتمل الأديب من تبعه بحكم هذا الاتصال بينه وبين القراء، ومشاركته لهم فيما يعرض من المشكلات التي تأتلف منها الحياة الاجتماعية مهما تكن طبيعة هذه المشكلات، ومن دون تفريق بين ما يتصل منها بالسياسة أو بالنظام الاجتماعي، أو بأى لون من هذه الألوان التي تؤثر في حياة الناس، والتي يجب على الأديب أن يشارك فيها، ويحتمل نصيبه من تبعاتها، كما يجب على الأدب أن يصورها ويصور المشاركة فيها ويصور الوسائل المختلفة لتدبيرها والخروج من ضائقها واستكشاف ما يمكن استكشافه من الحلول لأزماتها مهما تختلف في الطبيعة والصورة والأثر. وهذه الفكرة هي ما يسميه جان بول سارتر التزام الأدب، وهي ليست أكثر من أن الأديب يجب أن يعيش مع معاصريه فيشقى بشقاؤهم ويسعد بسعادتهم، ويواجه مشكلات الحياة كما يواجهونها، ويصور هذا كله

في أدبه تصويراً دقيقاً خصباً مجدياً ، دون أن ينفصل عن حياة معاصريه ، أو يعتزلم ليعيش في برج العاجي ، ويفتج في هذا البرج أدهاً لا يتصل بالأم الناس وآمالهم ، وما يعرض لهم من بؤس ونعيم .

وقد استعرض جان بول سارتر في كتابه هذا تاريخ الأدب الفرنسي في عصوره المختلفة ، وبين مقدار ما كان بين الأدباء وقراءهم من الصلات والاشترك في احتمال التبعات على اختلاف العصور وتباين الظروف . ووصل من هذا الاستعراض إلى نتائج رائعة في تاريخ الأدب الفرنسي ليس هنا موضع الحديث عنها . ولكنه لاحظ أن تطور الحياة الحديثة ، ولا سيما في القرن التاسع عشر وفي أوائل هذا القرن ، قد انتهى بالأدب إلى أن يكون لوناً من ألوان الترف يترفع عن الحياة اليومية العاملة ليعني بألوان من هذه الحياة الفنية المترفة التي لا تتاح إلا لطبقات ضيقة من الناس . ثم حاول أن يرسم للأديب المعاصر ، ولنفسه وأصحابه بنوع خاص ، برنامجاً يحققون به الاتصال بينهم وبين قرائهم ، ويشاركونهم به في مواجهة ما تمتلي به الحياة المعاصرة من المشكلات التي تزداد عنفاً وتعقداً من يوم إلى يوم . وقد اضطره هذا إلى أن يستقصى مشكلات الحياة الاجتماعية في هذه الأيام ، وينتقد المذاهب السياسية الاجتماعية التي تحاول حل هذه المشكلات ، ويختار لنفسه ولأصحابه طريقاً وسطاً بين مذهب الشيوعيين الذين يلغون حرية الفرد ، ومذهب البورجوازيين الذين يبيعون هذه الحرية لفريق من الناس دون فريق . وأراد أن يصل إلى نوع من النظام يكفل للفرد حريته كاملة ، ويكفل للجماعة عدلاً شاملاً ، ويكفل للأديب حريته الكاملة في التفكير والتصوير والتعبير دون أن يخضع لما تفرضه الأحزاب على أعضائها من قيود وأغلال تضطرمهم إلى أن يفكروا ويصوروا ويعبروا كما يريد نظام الحزب ، لا كما تريد حرية الفرد ولا كما تريد طبيعة الأشياء وحقائق الحياة .

وقد استعرض جان بول سارتر وسائل الاتصال بين الأديب المنتج والجمهور المستهلك ، فلاحظ كما يلاحظ غيره من الناس أن العصر الحديث قد ابتكر لهذا الاتصال وسائل لم تكن معروفة من قبل ، وأن هذه الوسائل قد طغت وأسرفت في الطغيان على الوسائل القديمة . فالصحف والمجلات أكثر

اتصالا بالجماعات وتغلغلا بين طبقاتها من الكتب . والراديو أكثر اتصالا بالجماعات وتغلغلا بين طبقاتها من الصحف والمجلات فضلا عن الكتب . والسينما أكثر دعاء وأشد استهواء للجماعات على اختلاف طبقاتها من التمثيل . وإذن فما ينبغي للأديب الذى يقدر الحياة الاجتماعية ويشارك فيها وفى احتمال تبعاتها أن يهمل هذه الوسائل المستحدثة ، ويفرغ لاستخدام الوسائل القديمة التى لم تفقد قيمتها وخطرها ، ولا ينتظر أن تفقد قيمها وخطرها ، ولكنها لا تستطيع أن تظفر من الشبوع والشمول والتغلغل فى الطبقات المختلفة المتفاوتة بمثل ما تظفر به الوسائل المستحدثة . فستؤلف الكتب ، وسيقرأها القراء ، وستنشأ المسرحيات وسيشهدها النظارة ، ولكن الصحف والراديو والسينما ستكون أكثر انتشاراً وأشد اتصالا بالجماعات وأعظم تغلغلا فى طبقاتها من الكتب والمسرحيات .

وقد لاحظ جان بول سارتر فى شئ من الدعاية أن مسرحية قصيرة من مسرحياته حظرت تمثيلها فى بريطانيا العظمى . ولكنها أذيعت فى الراديو البريطانى ، فكانت النتيجة أن الذين استمعوا لها من الانجليز كانوا أكثر مرات كثيرة من الذين كان يمكن أن يشهدوها فى ملعب التمثيل . على أن الرقابة البريطانية قد فطنت آخر الأمر لهذه الملاحظة ، فأباحت عرض هذه القصة فى الملاعب . والمهم هو أن جان بول سارتر يريد بلا ريب أن يساير الحياة الحديثة ، وأن يتصل بقرائه أو بمستهلكيه من طريق الوسائل المختلفة التى تستحدث لهذا الاتصال . وقد سلك هو هذه الطريق ؛ فهو يؤلف الكتب على اختلافها ، يؤلف الكتب التى يقصد بها إلى الخاصة ليتحدث إليهم فى الفلسفة الوجودية أو فى هذا الموضوع أو ذاك من موضوعات الدراسة الأدبية . ويؤلف الكتب التى يتجه فيها إلى الجماعات الضخمة ليذيع فيها ما يريد أن يذيعه من تصوره للمشكلات وتصويره لها ومذهبه فى حلها ، يسلك فى ذلك طريق القصص الطويل والقصير .

وهو يصدر مجلته ليتجه فيها مع أعوانه إلى جماعات من السراء قد تؤثر الدراسات الميسرة ، التى لاتتحرف مع ذلك عن مناهج البحث الدقيق ، على الكتب الفلسفية الجافة وعلى القصص السهل اليسير . ثم هو بعد ذلك ينشئ المسرحيات التى يتجه فيها إلى جماعات تحب أن تأتيا متعة المعرفة

والفن لا من طريق القراءة وحدها ، ولكن من طريق القراءة والنظر لحركات الممثلين والاستماع لهم حين يتحاورون . ثم هو لا يكره أن يتحدث إلى المستمعين في الراديو أو ينشئ لهم من الآثار ما يتلى عليهم من طريق الراديو ليستمعوا له غير مقبلين عليه كل الاقبال ، ولا متوفرين له كل التوفر ، ولا معرضين عنه كل الاعراض .

ولم يبق من هذه الوسائل المستحدثة إلا السينما ؛ فقد حاول جان بول سارتر أن يتخذ هذه الوسيلة ليتصل بالجماعات الضخمة المتباينة في البلاد المختلفة المتناثية في وقت واحد . ووضح جدا أن الكتاب والصحيفة والمجلة لا تقرؤها الجماهير مجتمعة ؛ وإنما يخلو فيها القارئ إلى نفسه وإلى الأديب الذي يقرأ كتابه أو مقاله في الصحيفة أو فصله في المجلة . ووضح كذلك أن المسرحية لا تعرض في غير ملعب واحد في المدينة الواحدة ، ولا يشهدها من أجل ذلك إلا جمهور من النظارة مهما يكن ضخما فهو محدود . والذين يمثلون المسرحية أو ينشئون أدوارها ، كما يقول أصحاب التمثيل ، مضطرون إذا نجحت المسرحية أن ينفقوا في تمثيلها الأشهر ليشهد أكبر عدد ممكن من النظارة ، وأن يتنقلوا بها بعد ذلك في كثير من المدن ، بل في كثير من البلاد ، ليظهروا عليها أضخم عدد ممكن من الناس ، وفي ذلك من الجهد والمشقة والعسر ما فيه ثم هو بعد ذلك لا يبلغ من إذاعة المسرحية ما يريد صاحبها ، وما يريد ممثلوها ، وما يريد الناس أنفسهم . أما السينما فهو يملك من وسائل التيسير ما لا تملكه الكتب ولا الصحف ولا الراديو ولا التمثيل . فالقصة الواحدة إذ أعدت للعرض تستطيع بعد إعدادها أن تغزو الأرض كلها في وقت واحد ، وأن تشهدا جماعات النظارة في جميع أقطار الأرض في غير مشقة يحتملها الكاتب أو المخرج أو الممثل ، شأنها في ذلك شأن الكتاب المطبوع ، ولكنها تتحدث إلى الجماعات حين يتحدث الكتاب إلى الفرد . ثم هي تتحدث إلى الجماعات من طريق العين ومن طريق الأذن حين يتحدث الكتاب من طريق العين وحدها أو من طريق الأذن وحدها . ثم هي تستعين على الحديث من طريق العين والأذن بأشياء لا يستطيع الكتاب أن يستعين بها لأنه لا يستطيع أن يحققها . ففيها الحركة ، وفيها اختلاف المناظر ، وفيها ما تمتاز به المناظر من الروعة والقدرة على التأثير المباشر من طريق الأشياء نفسها ، لا من طريق

الألفاظ التي تدل عليها بالرمز الذي يغطي حيناً ويصير حيناً آخر . وقد تصحبها الموسيقى فتستأثر بملكات النظارة كلها . فالأديب الذي لا يرى الأدب ترفاً ولا فكاها ولا تلهية ، وإنما يراه جدا من الجد ، يراه مشاركة في الحياة ونهوضاً بأعبائها واحتمالاً لتبعاتها ، لا ينبغي له أن يهمل السينما كما لا ينبغي له أن يهمل أية وسيلة تمكنه من أن يتصل بالجماعات ويؤثر فيها فيوجهها إلى ما يريد أن يوجهها إليه ، ويصدها عما يريد أن يصدها عنه ، ويغيرها بما يحب أن يغيرها به ، ويزهدها فيما يحب أن يزهدها فيه . والأديب من بعد ذلك أو من قبل ذلك مضطر إلى أن يصطنع هذه الوسائل ليحمي نفسه من الفناء ، وليحمي نفوس الجماعات من الفساد . فهذه الوسائل المستحدثة قد وجدت وأصبحت من ضروريات الحياة الحديثة . فليس من سبيل إلى إلغاء الصحف ، ولا إلى إسكات الراديو ، ولا إلى تحريم السينما . فالأديب بين اثنتين : إما أن يغزو هذه الوسائل ويتخذها أدوات لاذعة الأدب وما يحمل إلى النفوس من خير ورشد وإصلاح ، وإما أن يهمل هذه الوسائل فيقضي على أديه بالتزام الحدود التي لا يتجاوزها الكتاب ، ويعرض نفوس الجماعات لشر عظيم تجعله إليها الصحف والراديو والسينما التي ستكون أداة لقوم ليس لهم حظ من أدب ولا من فلسفة ولا من فن ولا من فقه بالحياة ومشكلاتها ، وإنما همهم كله أن يلهو الجماعات بما يذيعون فيها من سخف رخيص ، وأن يستزلوا الجماعات بما ينشرون فيها من دعوة إلى أشياء لعلها لا تلائم ذوقاً ولا منفعة ولا رقياً ولا ميلاً إلى الإصلاح . والخلاصة أن الأديب إذا آمن بأنه فرد من الجماعة التي يعيش فيها ، يشاركها في حياتها ، ويتضامن معها في النهوض بأعباء هذه الحياة ، ويحتمل معها تبعات الجهاد مهما تختلف ، فليس له بد من أن يصطنع كل هذه الوسائل ، قديمها وحديثها ، وما يمكن أن يستحدث منها في مستقبل الأيام ، ليحقق اتصاله بالجماعات ، ويحقق اتصال الجماعات به .

وكما أن الأديب لا ينبغي أن يعتزل في برجه العاجي وأن يوحى منه إلى الجماعات كتباً أو فصولاً لا تتصل بحياتها اتصالاً مباشراً ، وإنما ينبغي أن يعيش مع الناس في الأرض ويشفق كتبه من نفوسهم ، فهو كذلك لا ينبغي أن يعتزل في برجه العاجي ليوحى إلى الناس قصصاً تعرض عليهم

في السينما ، دون أن تكون هذه القصص مشتقة من حياتهم ، مصورة أدق تصوير وأصدقها لما يجيدون من ألم ولذة ، وما يحسون من أمل ويأس ، وما يثور في قلوبهم من عاطفة وشعور . فليست الحياة لهواً ولا لعباً ، وإنما الحياة جهاد ، يحتاج الناس في أثنائه إلى شيء من اللهو وفنون من التسلية ، ليستعينوا بذلك على احتمال الحياة والمضي في جهادهم في غير سأم أو ملل أو فتور . وإذن فيجب أن يلتزم السينما كما يلتزم الأدب ، أى يجب أن يعرض السينما على النظرة حياتهم ، وما يملؤها من المشكلات وما يمكن أن يواجهوها به هذه المشكلات من حزم وعزم ، ومن رفق وأناة ، ومن صبر واحتمال ، ومن حيلة وتصرف ، وما يمكن أن يجدها هذه المشكلات من حلول تريحهم منها ليستقبلوا غيرها . فحياة الناس لم تخل ولا يمكن أن تخلو من المشكلات ، ولا سيما حين يكون هؤلاء الناس حظ من رقي العقل ، وذكاء القلب ، ودقة الحس ، وقوة الضمير .

وقد حاول جان بول سارتر ، اصطناع السينما لاذاعة أدبه أول ما حاول بعرض قصته تلك القصيرة التي حظرت في بريطانيا العظمى وأذيعت في الراديو ، وهي القصة التي عنوانها : *Huis Clos* ، والتي أستطيع أن أسميها من « وراء السور » . فالقصة تعرض أمر نفر من الناس دفعوا بعد الموت إلى الجحيم ، وضرب من دونهم بسور ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب . وليس في جحيمهم هذا الذي دفعوا إليه ، نار تتلظى ، ولا سعير تصهر فيه الجلود وتذاب فيه الأجسام ، بل ليس فيه ألم مادي ما ، وإنما هم مدفوعون إلى حجرة من الحجرات التي ألقوها في حياتهم الدنيا ، وهم سكرهون على أن يقيموا في هذه الحجرة إلى آخر الأبد ، إن كان للأبد آخر . وهم يصلون متتابعين إلى حجرتهم هذه ، لا يعرفون أنهم موق ، وإنما يخيل إلى كل واحد منهم أنه قد أقبل على فندق من الفنادق ، وقاده الخادم إلى حجرة من حجراته . فهم يتفقدون في هذه الحجرة مراقبهم التي ألقوها في الحياة الدنيا ، وهم يتبينون شيئاً فشيئاً أنهم قد ماتوا ، وأنهم يلقون في هذه الحجرة جراء ما قدموا بين أيديهم من الأعمال . وليس هذا الجزاء المادي ، كما قدمت ، وإنما هو ألم معنوي يتبينون إحساسهم له شيئاً فشيئاً . يتبينون ذلك حين يتعرف بعضهم إلى بعض ، وحين يذكر كل واحد منهم

لنفسه أولاً ولرفاقه بعد ذلك ، ما قدم من أعمال منكرة وما اقترف من آثام استحق عليها العقاب ، ثم حين يكون بينهم الاختلاف والتناكر ، وحين يستبين كل واحد منهم أنه لا يستطيع أن يعاشر رفاقه راضياً عن عشرتهم ، ولا يستطيع أن يفلت من هذه المعاشرة ؛ فهو مكره إذن على معاشرته لا يطيقها ولا يطمئن إليها ، ولا يستطيع أن يخلص منها إلا إذا عكف على نفسه وأهمل طائعاً أو كارهاً من حوله من الرفاق . وسواء أراد أو لم يرد ، فهو يرى هؤلاء الرفاق ويتأذى بمنظرهم ، وهو يسمعهم ويتأذى بما يسمع منهم ، وهو يحاول أن يفر منهم إلى نفسه ، فلا يرى في نفسه إلا نكراً . وهو لا يستطيع أن ينسى هذا النكر الذي يراه في نفسه ؛ لأن أعماله كلها تعرض عليه وآثامه كلها تمر أمامه من وراء هذه الأسوار ؛ فيتحدث عنها فيؤذيه حديثه ويؤذى رفاقه ، ويسكت عنها فيؤذيه سكوته ويؤذى رفاقه ؛ لأن كل واحد منهم في حاجة إلى أن يشغل نفسه عن نفسه ، ولأن كل واحد منهم يؤذيه أن يشغل نفسه عن نفسه ، كما يؤذيه ما يحاول من الفراغ لنفسه والانصراف إليها عن حوله من الناس . فكل واحد منهم إذن إنما يحمل جحيمه في نفسه ، وليست جهنم شيئاً منفصلاً عن الانسان ، وإنما هي شيء مستقر في ضميره حياً وميتاً . وكل ما في الأمر أن الانسان في حياته الأولى قد يخدع ضميره ، أو يخدع عن ضميره ، بما يكسب من عمل ، وبمن يعاشر من الناس ، وبما يعرض له من المشكلات التي يشغله بعضها عن بعض ، ومن اللذات التي قد تشغله عن آلامه وقتاً يقصر أو يطول . فأما بعد الموت فليس يشغله عن نفسه شيء ، وليس يصرفه عن آلامه وآثامه شيء . وهو يعلم حق العلم أنه موقوف على هذه الآلام والآثام ، وأن هذه الآلام والآثام موقوفة عليه أبد الأباد أو أبد الأبدين . وقد يخطر لك أن هذه الفكرة الفلسفية المجردة قد تكون في نفسها قيمة عظيمة الخطر بعيدة الأثر في نفس الذين يظهرون عليها من النظارة حين يشهدون التمثيل أو من القراء حين يقرأون القصة . ولكنك تسأل : كيف عرضت هذه الفكرة على المسرح ، وعلى الشاشة البيضاء ، كما يقول أصحاب السينما؟ وهذا بالطبع حديث لا أريد أن أقف عنده الآن ، وقد ألم به في مقال آخر حين أعرض لمسرحيات جان بول سارتر . وإنما يكفي أن تعلم أن التمثيل إنما يقوم على ما يكون بين هؤلاء

النفر حين يلتقون من حوار فيه العسر واليسر ، وفيه العنف واللين ، وفيه الخلاف والوفاق . وكله منته آخر الأمر إلى العجز واليأس اللذين ينتهيان بأصحابهما إلى الجنون ، إلا أن الموق لا يصيهم الجنون . فأما السينما فانه يصور هذا كله ويؤديه أداء حسناً ، ولكنه يعرض مع هذا كله تلك الآلام والآثام التي اقترفها هؤلاء النفر في حياتهم الأولى ، والتي يتحدث بها بعضهم إلى بعض في ملعب التمثيل ، فلا تظهر النظارة عليها إلا من طريق اللفظ الذي تسمعه الأذن . فأما في السينما فيظهر النظارة عليها من طريق العين لأنها تمر أمامهم مرأً كلما عرض لها أصحابها في الحديث .

وكان نجاح هذه القصة في السينما قد أغرى الكاتب إغراء شديداً بأن يعنى بالسينما من حيث هو سينما ، فلا يعيره قصة كتبت للملعب ، وإنما يمنحه قصصاً تكتب له خاصة .

ومن الكتاب الفرنسيين المتأثرين من حاول وما زال يحاول هذا الفن السينمائي الخالص فيظفر بكثير من النجاح والتوفيق . والناس كلهم يذكرون روائع جان كوكتو ومارسيل بانول . ولكن هذين الكاتبين وغيرهما لا يتجاوزون آثارهم محاولة التوفيق بين السينما والفن ؛ فليس يعينهم أن يذيعوا فكرة فلسفية أو أدبية ما ، وإنما يعينهم أن يمتعوا النظارة بالسينما كما تعودوا أن يمتعوهم بالتمثيل . فأما جان بول سارتر ، فهو لا يكره أن يمتع النظارة ولكنه لا يكتفى بمتاعهم ، وهو لا يكره أن يعظ النظارة ولكنه لا يكتفى بوعظهم ، وإنما يحاول فوق الامتاع والوعظ أن يعرض عليهم مشكلات عميقة ، بعضها يعرض للانسان من حيث هو إنسان يفكر في حياته ومصيره تفكيراً فلسفياً ، وبعضها يعرض له من حيث هو إنسان يدبر حياته تديراً سياسياً واجتماعياً ، فيلقى في هذا كله ما يلقى من المصاعب والعقاب .

وقد كتب جان بول سارتر للسينما قصتين إلى الآن ، عرضت إحداهما في كان ولم تعرض على الجمهور بعد ، ونشرت الثانية في مجلة من مجلات السينما ، ولست أعلم أن المخرجين قد هموا باخراجها بعد . فأما القصة التي أخرجت وعرضت بالفعل فعنوانها الفرنسي *Les jeux sont faits* . وتستطيع أن تترجم هذا العنوان بهذه الكلمة العربية : « لقد تمت اللعبة » ، كما تستطيع أن تترجمه بكلمة واحدة ، وهي « هيات » . وهذا

العنوان الفرنسي ليس إلا الجملة التي ينطق بها محرك « الروليت » في أندية القار قبل أن يحرك هذه الأداة ، وبعد أن يضع اللاعبون ما يضعون من النقد على ما يختارون من الأرقام . وإذا نطق صاحب الأداة بهذه الجملة فهو إنما ينبه اللاعبين إلى أن أحدهم لا يستطيع أن يختار رقما غير الرقم الذي اختاره ، ولا يستطيع أن يسترد النقد الذي وضعه على هذا الرقم ؛ فقد تمت اللعبة ولم يبق إلا أن تجرى الكرة وتختار اللاعبين أو تختار من اللاعبين صاحب الرقم الذي أتيح له الكسب . فإذا قامت اللعبة ، أو قلت هيات ، أو قلت سبق السيف العذل ، أو قلت لاسبيل إلى استدراك ما فات ، فقد أديت المعنى الفلسفي الذي قصد إليه الكاتب حين أنشأ قصته .

ويقول النقاد الذين شهدوا عرض هذه القصة في مدينة كان إنها لم تظفر بشيء من النجاح ، ثم يختلفون بعد ذلك في مصدر هذا الاخفاق ؛ فبعضهم يحمل تبعته على جان بول سارتر لأنه كلف السينما ما لا يطيق ، وعرض على النظارة مشاهد لا يجبون أن يروها ولم يتعودوا أن يروها ، وكلفهم أن يخادخوا أنفسهم خداعاً عظيماً قوامه الحكم الخالص ليفرقوا بين أشخاص ومشاهد لم يألّفوا التفريق بينها . وبعضهم يحمل تبعه هذا الاخفاق على المخرجين والممثلين لأنهم لم يحسنوا الاخراج والعرض والتمثيل . ومن المحقق أني لن أحاول القضاء بين هؤلاء المختصمين ؛ فلست من السينما في شيء ، وليس السينما سني في شيء . ولكن من المحقق أيضاً أني قرأت هذه القصة التي أذيعت في الناس تمهيداً لعرضها عليهم ، وقرأتها ثلاث مرات ، فلم تزدني قراءتها إلا إعجاباً بها ورضا عنها لا لا فيها من آراء فلسفية فحسب ، ولا لا لها من قيمة أدبية فنية فحسب ، ولكن لهاتين الخصلتين جميعاً ولخصلة ثالثة ، وهي طريقة العرض التي يقتضيها السينما والتي تدفع الكاتب والقارئ جميعاً إلى شيء من النشاط والحركة والتنقل السريع المفاجيء من بيئة إلى بيئة ، ومن طور إلى طور ، بل من عالم إلى عالم كما ستري .

وليس يعني أن تظفر هذه القصة بالنجاح على الشاشة البيضاء أو لا تظفر به ، وإنما الذي يعني أني قبل كل شيء هو أن هذا اللون من الكتابة القصصية يمكن أن يقصد إليه الكاتب في نفسه ، سواء عرض على النظارة أو لم يعرض ، فهو في نفسه فن طريف حي خصب يستطيع أن يكون

أداة قيمة جدا لا بلاغ ما يريد الأدباء أن يبلغوه إلى قرائهم من طريق الكتاب . ولا عليهم بعد ذلك أن يستغله السينما في استغلاله أو يخفق ، ولا عليه ألا يستغله السينما أصلا . وقد أستطيع أن أضرب لك مثلا مقاربا ؛ فالأدب التمثيلي القديم اليوناني واللاتيني ممتع حين تقرأه ، خالد بحكم هذا الامتاع ، وقليل منه يمكن أن يمثل في الملاعب ويظفر برضا الحارة ، ولكن أكثره قد فقد هذه الخصلة ، وأصبح ممثعا بقرائه ليس غير . وقد يستطيع الممثلون المعاصرون أن يعرضوا على النظارة « أنتيجون » ، أو « أوديب » ، أو الكنز من آثار سوفوكل . ولكني أشك أعظم الشك في أنهم يستطيعون أن يعرضوا على النظارة « فيلوكتيت » أو « إياس » . من آثار هذا الشاعر نفسه ، وأن يظفروا بشيء من إعجاب النظارة المحدثين . وكل رجل مثقف يجد المتاع كل المتاع في قراءة هاتين القصتين ، بل قد حاول أندريه جيد في كثير من التوفيق أن يجدد قصة « فيلوكتيت » ، كما جدد قصة « أوديب » ، وكما جدد كتاب آخرون قصصاً أخرى لسوفوكل وغيره من القدماء . فالكتاب الذين يستعرون من السينما طريقتهم في العرض والحركة والتنقل السريع يحددون في الأدب تجديداً خطيراً ، ويفتحون للأدباء آفاقاً واسعة سواء وفق المخرجون أم لم يوفقوا في إخراج ما يكتبون .

والذين قرءوا « طريق الحرية » ، أو ما ظهر من « طريق الحرية » ، لجان بول سارتر ، يلاحظون أنه لم يصل إلى هذا اللون من الفن فجاءة ولا عن إرادة وتعمد . وإنما وصل إليه شيئاً فشيئاً من طريق التطور الفني الرفيق ، وتأثر في ذلك ببعض الكتاب الأمريكيين ، وتأثر فيه بالسينما ، وتأثر فيه بالحياة الحديثة نفسها . فهو في طريق الحرية قاص ، ولكنه لا يقص أحداثه كما تعود الكتاب أن يفعلوا ، وإنما هو أمام أشخاص كثيرين جدا مختلفين أشد الاختلاف ، يعيشون في أقطار متناهية متباعدة ، وتحدث لكل واحد منهم ألوان مختلفة من الأحداث ، كلها متأثر بذلك الروع الذي ملأ الأرض قبيل الحرب العالمية الثانية . وهو يلقي إليك أطرافاً من هذه الأحداث في شيء يشبه أن يكون فوضى ، ولكنه قد نظم أدق تنظيم وأمتنه . فهو يحدثك عن رجل مروع في هذه المدينة من مدن تشيكوسلوفاكيا ، ثم يثب بك إلى مدينة ميونيخ حيث الاستعداد للقاء هتلر وتشمبرلين ، ثم أنت في باريس

في ناد من أندية اللهو ، ثم أنت في باريس في غرفة خاصة حيث يتناجى عاشقان . وهو كذلك ينتقل بك في أقطار أوروبا ، وربما ثقلك إلى إفريقية ، وربما عبر بك البحر بين مراكش وفرنسا . وأنت لا تستقر في مكان من هذه الأماكن إلا ريثما ينقلك منه إلى مكان آخر . ولكنه على كل حال مغرق في هذا الروع الذي ملاء الأرض قبيل الحرب ، مفكر في الحرب ، مستحضر لها ولأهوالها ، شاهد لآياتها وبوادرها ، متأثر بعد ذلك بما لكل قصة من هذه القصص الكثيرة المختلفة المختلطة من عبرة تتصل بالسياسة أو بالخلق أو بالفلسفة أو بنظام الاجتماع . فهو لا يقص عليك الأحداث ، وإنما يعرضها عليك عرضاً ، قد استعار للكتابة فن السينما في العرض ، فأتقن الكتابة والعرض جميعاً ، بحيث يمكن أن يعرض هذان الجزءان اللذان ظهرا من كتابه عرضاً سينمائياً في غير مشقة ولا عناء .

فلا غرابة إذن في أن يستقبل الكتابة الأدبية الفلسفية للسينما ، ولا غرابة كذلك في أن يجد الفنيون مشقة في الاخراج ، ويجد النظارة عسراً في الفهم والاستمتاع .

والقصة التي نحن بازائها ، تعتمد على شخصين اثنين ، هما البطلان ، ومن حولها أشخاص كثيرون ، لكل منهم مكانه وأثره . وهذان الشخصان رجل وامرأة . فأما الرجل فهو بيير دومين وهو عامل يمتاز بين زملائه ، قد أسس مع جماعة من رفاقه جماعة الحرية التي تنظم مقاومة الطاغية منذ أعوام ، وهي تستعد للثورة من غد . وأما المرأة فهي إيف شارلييه ، وهي بالطبع جميلة رائعة الجمال ، غنية واسعة الغنى ، تشغل مع زوجها في الطبقة الممتازة مكاناً رفيعاً . فإذا بدأت القصة ، فأيف هذه مريضة تراها في سريرها مكدودة ، وقد أقبل زوجها مترفقاً ، فدنا منها وتبين أنها لم تحس مقدمه لأنها مغرقة في النوم . ثم يعرض عليك منظر غرفة حقيرة في بيت متواضع ، وقد اجتمع رؤساء العمال حول رئيسهم بيير ، وقرروا بعد مناقشة أن تبدأ الثورة من غد . ثم نترك هذه الغرفة ، ونرى بيير في الشارع يركب دراجته ، ويدنو منه غلام يعتذر من بعض الخطأ ، ونفهم أنه قد وشى بالجماعة إلى الشرطة بعد أن عذبتة الشرطة عذاباً شديداً ، ونفهم كذلك أن بيير لا يريد أن يعفو عنه ، وإنما يزدريه أشد الازدراء ، فيمتملى قلب

الفتى حفيظة وموجدة وخزياً ، ثم نرى بيير قد وصل إلى مكان خارج المدينة حيث تعمل طوائف من العمال والفتى يتبعه ، حتى إذا بلغ قريباً من أصحابه أطلق الفتى عليه مسدسه فخر صريعاً . وأقبل العمال من كل صوب حين سمعوا انطلاق المسدس . ثم نعود إلى الغرفة التي تمرض فيها إيف ، فترى زوجها قد انحنى ينظر في وجهها ، حتى إذا استيقن أنها نائمة استخرج من جيبه زجاجة صغيرة وصب منها قطرات في قرح من الماء قد وضع إلى جانب السرير ، ثم انسل إلى الصالون حيث كانت تنتظره لوست أخت امرأته ، وهي فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ، مشفقة أشد الاشفاق على أختها ، فلا تكاد تسأله عن حالها حتى يهبها للنبا الخطير ، والفتاة جزعة أشد الجزع ، ولكن الرجل يهدئ من روعها في رفق ، ونفهم أنه يتملقها ويريد أن يخيل إليها شيئاً يشبه الحب .

ثم نعود إلى خارج المدينة فترى بيير صريعاً قد أحاط به العمال ، وقد أقبلت فرقة من الجند فالعمال يتحرشون بها ، ويريدون أن يرحموها بالحجارة ، والجند يتهبأون لاطلاق النار . ثم نعود إلى الغرفة التي تمرض فيها إيف فنراها قد أفاقت من نومها وأخذت القرح وشربت مافيا ، ثم نهضت متثاقلة فسعت إلى الصالون ودعت زوجها ، ثم عادت إلى سريرها وجعلت تحذر زوجها في صوت خافت متهاك من أن يعرض لأختها بشر ، وتنبئه بأنها ستبرأ مستحى أختها منه ، وبأنه لم يتزوجها إلا رغبة في ثروتها ، وبأنه الآن يطمع في ثروة أختها . وزوجها يسمع لها غير حافل ولا مكترث ، ثم لا تلبث أن تموت . ونعود إلى خارج المدينة فترى العمال مزدحمين حول الصريع يتأهبون لرشق الجند بما في أيديهم من حجارة وحديد ، ويأبون أن يفسحوا لهم الطريق ، والجند يريدون إطلاق النار . ولكن بيير ينهض من مصرعه ويتخطى جثته التي لا تزال في مكانها ، وينصح للعمال بأن يتفرقوا ملحاً عليهم أشد الاحاح ، ولكن أحداً من العمال لا يسمع صوته ولا يرى شخصه . فإذا استيأس منهم رفع كتفيه ومضى لوجهه : ونعود إلى غرفة المريضة التي صرعه الموت ، فنراها قد نهضت وجعلت تسعى من الغرفة حتى تبلغ الصالون ، فترى أختها الفتاة منتحبة قد وضعت رأسها على كتف الزوج الذي جعل يهدئها ويواسيها متلطفاً مترقفاً متحجباً أيضاً ، وهي تقف أمامها فلا يريانها

وتتحدث إليهما فلا يسمعانهما ، حتى إذا استأست منهما تركتهما ومضت نحو الباب ، فتلقى الخادم في طريقها فتتحدث إليهما ، ولكن الخادم لا تراها ولا تسمعها ، وهي تمر أمام المرأة فتتنظر إليهما ، ولكن المرأة لا ترد إليهما صورتها . وهي تنظر فتري المرأة ترد صورة الخادم ولا ترد صورتها هي ، فتنتطق . ونحن في الشارع نرى حركة الناس واردحاسهم واضطرابهم فيما يضطربون فيه ، ونرى في الوقت نفسه يبصر يسعى في بعض الطريق وإيف تسعى في بعض الطريق أيضا ، وكلاهما يرى الناس ويسمع منهم ، ويحاول أن يعرض لهم فلا يراه أحد ، وأن يتحدث إليهم فلا يسمع منه أحد . وكلاهما يمضي في طريقه يسأل عن شارع بعينه لأنه على موعد في هذا الشارع ، ولكنه يسأل في غير طائل ؛ فالناس لا يرونه ولا يسمعونه ولا يجيبونه . وكلاهما يسعى مع ذلك حتى يصل إلى زقاق ضيق غريب قد كتب عليه اسم الشارع الذي يسأل عنه . وكلاهما يدخل في هذا الزقاق ، فاذا جماعة من الناس قد وقفت أمام باب مغلق في أقصى الزقاق ؛ وهذا الباب يفتح بين حين وآخر فيدخل منه أحد هؤلاء الناس ، ثم يغلق حيناً ثم يفتح ليدخل منه شخص آخر . ويلاحظ يبصر وإيف أنهما يريان هؤلاء الناس ويسمعان منهم ، وأن هؤلاء الناس يرونهما ويسمعون منهما . والباب يفتح فيدخل يبصر ، وإذا هو في حجرة ضيقة يمضي فيها حتى يبلغ أقصاها ، فاذا سيدة نصف قد جلست أمام مائدة وعلى المائدة دفتر ضخم . فاذا انتهى يبصر إلى هذه السيدة سألتها في أدب أهي تنتظره ؟ فتنبئه السيدة بأنها تنتظره ، ثم تنبئه باسمه وتاريخ مولده . ولا يكاد يدهش لذلك حتى تنبئه بأنه قد مات مقتولا ، ثم تطلب منه إمضاءه على الدفتر ، فاذا فعل أذنت له في الانطلاق ، ولكن على أن يخرج من باب غير الباب الذي دخل منه . فاذا سألتها إلى أين أذهب وماذا يجب أن أعمل ؟ أنباته بأن الموق يذهبون إلى حيث يشاءون ويعملون ما يشاءون . وتجري القصة نفسها لايف بعد حين ، فتعلم من السيدة أنها قد ماتت مسمومة ، وتمضي على الدفتر ، وتمضي حرة تذهب إلى حيث تشاء وتعمل ما تشاء لأن الموق أحرار بعد أن يوقعوا بأسمائهم في سجل الأموات .

ولست أقص عليك تفصيل ما يعرض لهذين اليتيمين بعد خروجهما من هذه الحجرة وانطلاقهما في المدينة يريان الأحياء ويسمعانهما ، ولكن الأحياء

لا يرونها ولا يسمعونها . ويلقيان الموق فنونا وأشكالا ، منهم المحدثون ومنهم الذين بعد عهدهم بالموت . وهما يستطيعان أن يتحدثا إلى الموق ، وأن يسمعا منهم ، وأن يتندرا معهم بالأحياء وما يعملون . لا أقص عليك ما يعرض لهما من خطوب ، فذلك شيء يطول ، وإنما أسجل شيئين اثنين : أحدهما أن بيير يذهب مع دليل له من الموق إلى قصر الطاغية ، فيدخل القصر وينسل إلى غرفة الطاغية ، فيراه متبدلا متهيبا لاتخاذ ثيابه الرسمية . ويتناول طعامه ومن حوله موق كثيرون ، كلهم مبغض له ساخط عليه يريد أن يصيبه بالكره ، ولكنه لا يبلغ مما يريد شيئا لأن الموق لا يبلغون مما يريدون شيئا . وقد أنبأهم بيير بأن الطاغية سيموت من غد حين تشب الثورة التي دبرها ، والموق لا يصدقونه ، ولكنه يلح حتى يوشك أن يقنع بعضهم بصدق ما يقول . ولكن رئيس الشرطة يدخل فينبئ الطاغية بأن زعيم الثورة قد قتل ، ويغضب الطاغية لذلك غضبا شديداً ؛ فهو قد كان أعد للثورة جيشاً ضخماً وقرر أن يسحقها سحقاً وأن يريح نفسه منها عشر سنين على الأقل . وإذن فقد استيقن بيير بأن الثورة ستسحق ، وأن الطاغية لن يفاجأ ، والموق يضحكون منه ويحاولون تعزيتة ، ولكنه يمضى مغضباً لا يلوى على شيء ، حتى يبلغ الغرفة التي كان يأتمر فيها مع أصحابه ، فيراهم ويسمعهم ، ويعلم أن مصرعه قد بلغهم . ويحاول أن يتحدث إليهم ليردهم عن الثورة ويحملهم على تأجيلها ، ولكنهم لا يرونه ولا يسمعون منه ، فينصرف عنهم يائساً مستيقناً بوقوع الكارثة من غد .

هذا أحد الأسرى . أما الأمر الثاني فهو أن بيير يلقي إيف فينظر إليها ويدنو منها ويكون بينه وبينها حديث ثم شيء يشبه الألفة . وهما يذهبان معاً إلى إحدى الحدائق ، وإلى ناد من أندية اللهو في هذه الحديقة تعشاه الطبقة الممتازة من أصحاب إيف . وهما يريان ويسمعان ، ولكن أحداً لا يراهما ولا يسمعهما . وقد استحالت ألفتها إلى تعاطف ، ثم إلى شيء يشبه الحب ، وهما يتراقصان ، ولكنهما لا يجدان لذة الرقص لأن الموق لا يجدون لذة لشيء . وكلاهما يود لو بذل نفسه ثمناً للحظة قصيرة ينفقها مع صاحبه كما ينفق الأحياء أوقاتهم حين يكون بينهم الحب . ولكن كليهما يحس كأنه مدعو إلى موعد ، فينطلقان حتى يبلغا تلك السيدة التي تسجل الموق ، فتنبهما بأنها

كانت تنتظرهما ، وبأنها قد علمت أن كليهما يظن أن قد غلط به في الحياة ، وأن كلا منهما قد خلق لصاحبه ، وأن المادة الأربعين بعد المائة من القانون تقضى في مثل هذه الحال بتصحيح الخطأ ورد الحياة إليهما أربعاً وعشرين ساعة . فإذا استطاعا أن يستأنفا منها حياة قواسمها الحب الصحيح مدت لهما أسباب الحياة ، وإلا عادا إلى الموت . وهما يزعمان هذه السيدة أن قد غلط بهما وأن كلا منهما قد خلق لصاحبه فترد إليهما الحياة . ويودعان الموتي الذين يتمنون لهما الخير ، ومنهم من يكلفهما بعض الأعمال في عالم الدنيا . ثم نعود إلى خارج المدينة فإذا جثة بيبير في مكانها ، وإذا العمال من حولها يتأهبون لرشق الجند بالحجارة ، والجند يتهاونون لاطلاق النار . فقد حدثت كل هذه الأحداث على كثرتها في لحظة قصيرة ؛ لأن الزمن لا حساب له بالقياس إلى الموتي . وقد جلس بيبير بعد أن ردت إليه الحياة ، وتحدث إلى العمال فاستيقن أنهم يرونه ويسمعونه ؛ وآية ذلك أنهم أطاعوه وتفرقوا . ولكنه ينهض في شيء من ذهول ويعمد إلى دراجته فيركبها ويعود إلى المدينة . وقد أرسل العمال من ورائه أحدهم ليبتعه ويعينه إن احتاج إلى شيء من عون .

ونعود إلى الغرفة التي ماتت فيها إيف ، فنراها على سريرها وقد جثت أختها منتجة إلى جانب السرير . ولكن إيف تتحرك ثم تتكلم ثم تنهض . وقد حدثت كل هذه الأحداث في أقصر لحظة ممكنة ؛ لأن الزمن لا قيمة له بالقياس إلى الموتي . وقد ابتهجت أختها الفتاة حين رأتها تفيق ، وسقط في يد الزوج فخرج يلتمس لها الطبيب . وجعلت إيف تتحدث إلى أختها محذرة لها من هذا الزوج الخائن الذي يذعها ليظفر بثروتها ، والفتاة تدافع عن هذا الزوج لأنها لم ترمته إلا خيراً . ونحن أمام الدار التي تسكنها وهي دار أنيقة فخمة قد أقبل عليها بيبير ، حتى إذا بلغها نزل عن سيارته ودخل وسأل البواب عن الطابق الذي تسكنه إيف شارلبييه ، فيدله عليه مزدرياً له ، ويأمره بأن يرق إليه من سلم الخدم . ثم نرى الخادم قد أقبلت تنبئ سيدها بمكان هذا العامل ، وبأنه يريد أن يلقاها ، وبأنه ينتظر في المطبخ . فتذكر إيف كل ما حدث لها أثناء الموت وتأذن لبيير . فإذا أقبل راعه ما في هذه الدار من ترف لم ير مثله قط ، وهو على كل حال يلقي صاحبتة ويتحدث إليها ويدعوها إلى أن تراققه ؛ وهي تتردد شيئاً ، ثم تذكر ما زعمت لسجلة الموتي ، فتمهم أن تخرج ، ولكن

الزوج يقبل ، فيراها وقد ظهر تفوقه على امرأته . فقد رآها في غرفتها مع رجل غريب من غير طبقتها ، ورأى بينهما صلات لا تكون إلا بين العاشقين . فهو يريد أن يطردها ، ولكنها تخرج مع رفيقها وفي نفسها شيء من حب ، وفي نفسها كثير من حسرة وخوف على أختها . وهما يستأنفان في الشارع كل ما حدث لهما أثناء الموت ، فيسعيان إلى الحديقة ، وإلى النادي . ويريان أصحاب إيف ويسمعانهم ، ولكن أصحاب إيف يرونهما هذه المرة وينكرون مكانهما ويسخرون منهما . وهما يشقيان بذلك شقاء مختلفاً مصدره استخذاء المرأة من رفيقها العامل الوضيع أمام هذه الطبقة الممتازة ، واستخذاء الرجل من ضعة هيئته ومما بينه وبين صاحبتة من الفرق الهائل في الطبقة وفي الفقر والغنى . ولكنهما كليهما حريصان مع ذلك على أن يستأنفا حياة قوامها الحب ؛ فقد أعطيا بذلك عهداً في دار الموق ؛ فهما يعرضان عن كل ما يلقاهما من المصاعب ، وهما يتراقصان في نفس المكان الذي تراقصا فيه ميتين ، ولكنهما يجدان لذة الرقص في هذه المرة ، ويكادان يتعان بهذه اللذة لولا هذه البيئة التي تنعص عليهما كل شيء . وقد وقع الشر بين بيير وبين رجل من هذه البيئة ، وأقبل جندي يريد أن يعنف بيير ، فتظهر إيف بطاقتها للجندي ، ويعلم بيير لأول مرة أن زوجها يشغل منصباً خطيراً في الشرطة فينصرف عنها هارباً . ألم ينفق حياته كلها في مقاومة هذه الشرطة والكيد لها ؟ فالنظام الاجتماعي كله ، والنظام السياسي كله ، والنظام الاقتصادي كله ، يحول بينه وبين هذه المرأة التي زعمت أنها خلقت له ، والتي زعم أنه خلق لها . ولكن إيف تدركه وما تزال به حتى ترده إلى بعض الهدوء ، ثم يتعاونان على إنفاذ ما أوصاهما به بعض الموق فيقرب ذلك بينهما شيئاً ما . ثم يذهبان إلى دار بيير ويفترقان حين يبلغانها . يريد بيير أن تستأنس صاحبتة إلى هذه الدار وحدها من جهة ، وأن يسرع إلى أصحابه فينبههم إلى الخطر الذي ينتظرهم من جهة أخرى ، فأما هي فتصعد إلى الغرفة التي يعيش فيها بيير ، وتجد شيئاً من الحرج في الاطمئنان إليها والاستقرار فيها ، ولكنها مع ذلك تدعن لما ليس منه بد فتأخذ في إصلاح الغرفة . وأما هو فيذهب إلى أصحابه ، فاذا لقيهم أنكروه أشد الانكار ، لأنهم عرفوا دخوله دار هذا الموظف الكبير من موظفي الشرطة وخروجه مع امرأته . ثم لم يكتفوا بالشك

فيه ، وإنما اتهموه بالتجسس عليهم بأنه قد أفضى بأمرهم كله إلى حكومة الطاغية . وقد انصرف عنهم يائساً منهم ، وعاد إلى صاحبتة حزيناً كثيراً ؛ فهي تواسيه وتسليه وترفق به وتذكره الحب وما أعطيا من عهد وما ضرب لها من موعد سينتهى إذا كان الغد . وهما كذلك إذ يأتي أحد العمال فينبى بيير بأن أصحابه قد ائتمروا به ليقتلوه ، ويحثه على الهرب بأنهم قادمون لإنفاذ ما أزمعوا . والعمال ينصرف ويبيير ينبى صاحبتة بأنه مقتول بعد حين ويأبى الهرب . وهذه أقدام يسمع وقعها ، وإذا العاشقان يعتنقان والباب يطرق ثم يطرق ، ثم ينصرف الطارقون فلا يشك العاشقان في أن النصر قد كتب لحيهما ، وفي أن الموت قد صرف عنهما لينعما بهذا الحب السعيد .

فاذا أصبحا من الغد فهما راضيان بعض الرضا لا كله ، لا يشك أحدهما في أنه يحب صاحبه . ولكن بيير يذكر الثورة التي ستسحق بعد حين وأصحابه الذين سيمحقون تآ ، ويريد أن يبذل آخر جهد لينقذ الثورة من الاخفاق ، وينقذ أصحابه من الموت . وإيف تذكر أختها التي توشك أن تكون فريسة لهذا الرجل الذي لا يجيها وإنما يجب ثروتها ، وهي تريد أن تبذل آخر جهد ممكن لأتقاذها . وهما مع ذلك يحاولان أن يستمسكا بالحب والحياة ، ولكنهما يفترقان على أن يلتقيا بعد ساعة قبل أن يحين الموعد الذي ضرب لها في دار الموق .

فأما هي فلا تكاد تدخل دارها حتى ترى أختها وزوجها قد جلسا إلى طعامهما جلسة لا تخلو من ريبة ، فتخرج المسدس وتأمرهما ألا يتحركا حتى تقص على أختها خيانة زوجها ، ثم تأمرها بأن تستخرج من مكتب زوجها رسائل الحب التي ثبتت خيانتة . وأما بيير فقد ذهب إلى أصحابه في نفس ذلك الوقت وقد اجتمع إليهم زعماء العمال ، وقد أخذ أصحابه ينكرونه ، وأخذ هو يدافع عن نفسه حتى اطمانت إليه الجماعة بعد لأي وهمت أن تؤجل الثورة . ولكن الثورة قد بدأت في مواضع كثيرة ، وهم يتداولون فيما ينبغي أن يتخذوا من قرار لإنقاذ ما يمكن إنقاذه . وقد دنا الموعد الذي ضرب لبيير وصاحبتة في دار الموق ؛ فهو يسرع إلى التليفون لينبى صاحبتة بأنه لا يستطيع فراق زملائه ، وهو يحاورها حواراً شديداً في التليفون نسمعه نحن ، والوقت يمضى ويمضى . وقد أقبل الجند فحاصروا المجتمعين ، وتطلق رصاصة

فيخر لها بيير صريعاً والجند يقتحمون الدار ويقهرون من فيها . ثم نرى بيير يتخطى جثته ويمضى لا يراه أحد ولا يسمعه أحد . ثم نراه بعد ذلك وقد لقي إيف ميتين وكلاهما يتحدث إلى صاحبه كأنهما قد خدعا عن أنفسهما وعن الحب ، وبأن التجربة قد أخفقت ، وبأنهما قد عادا إلى الموت لأن بيير لم يتمن الحياة إلا لينقذ الثورة وأصحابه ، ولأن إيف لم تتمن الحياة إلا لتنقذ أختها من زوجها الخائن الأثيم . وقد أخفقا جميعاً ، فلم يستطع بيير أن ينقذ الثورة ولم تستطع إيف أن تنقذ أختها . ويلقاها أحد الموق فيسألها دهشاً : ألم تنجحا فيما حاولتا ؟ فيجيبه بيير : كلا ياسيدي لقد تمت اللعبة ، فليس لأحد اللاعبين أن يختار . ويلقاها مع ذلك ميتان آخران قتي وقتاة يخيل إليهما أن كلا منهما قد خلق لصاحبه ، وأنه قد غلط بهما في الحياة الأولى ، وأنهما يستطيعان إن أتيح لهما الانتفاع بالمادة الأربعين بعد المائة أن يستأنفا حياة سعيدة قوامها الحب ، فيشير عليهما بيير وإيف بأن يحاولا ، فمن يدري لعلهما أن يظفرا بما لم يتح لهما الظفر به .

وكذلك تنتهي هذه القصة التي لم أرسم لك منها إلا أيسر ما فيها ، وهي على ذلك تصور لك ما قصد إليه جان بول سارتر من عرض هذه الظروف القاسية المحتومة التي يفرضها النظام الاجتماعي والسياسي والتي تفرق بين الناس تفريقاً محتوماً لا سبيل إلى التخلص منه إلا إذا تغير النظام السياسي والاجتماعي ، وزالت هذه الفروق التي تجعل من الناس أقوياء وضعفاء وفقراء وأغبياء ، لا سبيل إلى أن يلتقوا ولا إلى أن ينعموا بالحياة مادامت قائمة . فهم يجدون المساواة إذا ماتوا ويطمحون إليها مخلصين ويودون لو ردوا إلى الحياة ليحققوها، ولكنهم لا يستطيعون تحقيقها إذا ردوا إلى الحياة ؛ لأن اليد الواحدة لا تستطيع ، التصفيق ولأن النظام السياسي والاجتماعي لا تغيره إرادة فرد أفراد ، وإنما تغيره إرادة إجاعية لا تتحقق إلا بالتطور . ومن يدري ! لعل التطور لا يكفي لتحقيقها ، ولعلها تحتاج لشيء أشد عنفاً من التطور وهو الثورة .

وليس هنا موضع الحديث عما يمكن أن يكون بين هذا التفكير الفلسفي وبين الفلسفة الوجودية من تقارب أو تباعد ، وإنما الشيء الذي ليس فيه شك هو أن هذا النحو من التفكير ملائم لما أشرت إليه آنفاً من رأى

الكاتب في بحثه عن الصلة بين الأديب وبين الجماعات . فجان بول سارتر يريد أن يجعل المساواة بين الناس حقيقة واقعة تريدها الجماعة كلها ولا يريد لها الأفراد متفرقين . وأحسبك توافقني على أنه قد صور من ذلك ما أراد تصويره ، فبلغ من هذا التصوير ما أحب .

أما القصة الثانية فعنوانها « الأنوف المستعارة » وهي تدور بالفعل حول أنوف مستعارة يخفي بها أصحابها أنوفهم التي ركبها الله في وجوههم . والقصة فكاهة ، ولكنها فكاهة مرة تضحك ولكن من حفاة الانسان وسخفه وضعفه وتعلقه بالمنافع العاجلة واقتياده للوهم واستسلامه للسلطان وإن كان ضعيفاً لا يعتمد على قوة تسنده أو تجعله مصدراً للخوف .

فأنت حين تبدأ القصة في دهليز من دهاليز القصر الملكي في مورافيا ، وهذا الدهليز قدر مهمل قد ضربت عليه العنكبوت بنسجها ، ورجل قائم على سلم يحاول أن يرد إلى سقف الدهليز وجدرانها نظافتها ويزيل عنها نسج العنكبوت . ثم تعرض عليك صورة أخرى ترى فيها حجرة العرش وقد اجتمعت فيها حاشية الملك ووجوه الدولة وفي موقدها نار ضئيلة تخمد شيئاً فشيئاً . ولكنك تلاحظ على كل من ترى في القصر من رجال ونساء ومن سادة وخدم أنهم يحملون في وجوههم أنوفاً ضخمة مسرفة في الضخامة تجعل هذه الوجوه قبيحة مضحكة . ثم يقبل الملك والملكة فتنهض الحاشية ، ويحاول الملك أن يجلس على عرشه فإذا هو مضطرب لا يثبت قد قصرت بعض قوائمه ، فيضطرب بعض الحجاب إلى أن يتموا هذه القوائم القصيرة بقطع من الخشب يزوجونها بينها وبين الأرض ، حتى إذا ثبتت عرش الملك واستطاع أن يجلس جرت القصة نفسها لعرش الملكة . وقد أخذ الملك يتحدث إلى وجوه دولته ، فيعلن إليهم أن ابنه الأمير أندريه سيقترب بالأميرة أجات بنت ملك القوقاز ، وأن هذه الأميرة في طريقها الآن إلى عاصمة مورافيا ومعها حاشيتها وتتبعها عربات ضخمة قد سلت ذهباً ، وستمتلي خزائن مورافيا ، وسيجعل الله لهذه الدولة الضخمة الفقيرة يسراً بعد عسر وغنى بعد فقر وفرجاً بعد حرج . ثم يشير الملك إلى صورة مغطاة قد علقت إلى أحد الجدران فيرفع عنها غطاؤها ، وتظهر الأميرة من ورائه رائعة الجمال ، بارعة الحسن ليس فيها إلا عيب واحد وهو أن أنفها طبيعي جميل . فإذا نبه الملك إلى ذلك دعا رسام القصر فأمره بأن يصلح هذا الأنف . فيقبل الرسام

على الصورة يضحك أنفها ويفخمه ويسبغ عليه من القبح ما تتماز به الأنوف في مملكة سورافيا . هنالك يرضى الملك ورجال الدولة عن الصورة، ويدعى الأمير الشاب ليراها ، فاذا أقبل نظر إلى الصورة في تكره واشمئزاز ثم انصرف عنها معرضاً يظهر الاذعان للقضاء المحتوم أكثر مما يظهر الشوق إلى خطبه التي شغفت قلبه حبا . وفي أثناء هذا كله يلاحظ الملك أن خدام القصر قد تركوا أعمالهم وأبوا أن يستجيبوا له إذا دعا. فاذا سأل عن ذلك أنبأه وزير العمل بأن خدام القصر قد فرروا الاضراب إذا تمت الساعة الحادية عشرة؛ لأنهم لم يقبضوا أجورهم منذ ستة أشهر ، وقد حاولت الحكومة إقناعهم بأن زواج الأمير سيملاً الخزائن ذهباً وسيقبضون رواتبهم ومكافآت أخرى، ولكنهم لم يحفلوا بهذه الوعود هنالك يعلن الملك أن لا بد مما ليس منه بد، وأن رجال القصر كلهم ومعهم وجوه الدولة يجب أن يتناوبوا فيما بينهم أعمال الخدم . ثم ينهض الملك نفسه فيقدم الأسوة الصالحة ويأخذ في ترتيب الحجره ، ويضطر وجوه الدولة إلى أن يصنعوا صنيعه ، فهم يتقلون الأثاث القديم الموروث ليضعوا مكانه أثاثاً جديداً أنيقاً قد استعاره الملك من أعضاء حاشيته . وربما كان من المضحك أن نلاحظ أن الملك في أثناء حديثه إلى وجوه دولته يرى سيدة تصطك أسنانها من البرد ، فاذا نهاها عن ذلك حاولت أن تملك نفسها ولكنها لا تستطيع ، فيأمرها الملك بالخروج ويمضي في حديثه ، ولكنه يسمع أسناناً أخرى تصطك، فيهم أن يغضب ، ولكنه ينظر فاذا الملكة هي التي تصطك أسنانها من البرد . هنالك يأذن بالنهوض وضرب الأرض بالأرجل طلباً لبعض الدف . وكذلك ينهض هو وتنهض معه حاشيته ويأخذون في طرق الأرض بأرجلهم ، حتى إذا ظفروا ببعض الدف ، عادوا إلى مقاعدهم ومضى الملك في حديثه .

ثم يعرض علينا المطبخ ، وقد أخذ رجال ونساء من وجوه الدولة يعملون فيه ، يهيئون الوليمة التي ستدعى إليها الأميرة إذا كان المساء ، وهم يختصمون فيما بينهم خصومات مضحكة تدل كلها على أنهم محققون من هذا العمل الذي اضطروا إليه والذي ولا يحبونه ولا يحسنونه ولا يعملونه في قصورهم ، وإنما هو فقر الدولة قد اضطرتهم إلى هذا الطوان ؛ لأن هذا الزواج سيجلب للدولة مالا كثيراً فيعود أمرها إلى اليسر والثراء ، ولكنهم على ذلك قد

ضاقوا بالملك وابنه وبهذه الحياة المنكرة التي تفرض عليهم وعلى الشعب . فهذه الأنوف الضخمة الفخمة البشعة ، إنما فرض عليهم وعلى الشعب كله حملها ؛ لأن الأمير قد ولد كبير الأنف بشعه ، فأراد الملك ألا يحس الأمير أنه منفرد بهذه البشاعة ممتاز بهذا القبح ، فشرع قانوناً يفرض على الشعب كله أن يتخذ الأنوف الضخام . ومضى الشعب على هذه السنة المنكرة حتى ألفها وحتى أصبحت الأنوف الطبيعية عورة يجب أن تستر ، وحتى تهالك الناس على التماس هذه الأنوف الطبيعية ، يختلسون النظر بها خفية ومن وراء الحجب ، ويتحدثون عن أماكن اللهو التي يمكن أن يغشوها وأن ينفقوا فيها النفقات الضخمة ليروا أنفأً طبيعياً جميلاً ، وليستطيعوا مسه ، فاما تقبيله فشى لا يتاح إلا للذين يتفقون في سبيله أضخم النفقات .

وللملك أخ ضيق بهذه الحياة ، طامع في العرش ، يدبر ثورة يخلع بها أخاه ويطرد بها ابن أخيه ، ويرقى بها إلى الملك ، ويزيل عن الناس أنوفهم هذه المستعارة ، ويبيع لأنوفهم الطبيعية أن تظهر للهواء والنور وتستمتع بحريتها كاملة . وهو يتحدث في المطبخ إلى أعوانه من وجوه الدولة بما دبر من هذه الثورة ، فيقرونه على خطته ، ويتفقون على إفساد هذه الخطة ، ومنع هذا الزواج ، وعلى أن وسيلتهم إلى ذلك ستكون إفساد الولية أولاً ، فسيقدم إلى المدعويين أقبح طعام وأردأه ، وستكون الخدمة منكراً مخالفة للمراسم والتقاليد ، وسيتعمدون حين يدورون بالصحاف والشراب على المدعويين أن يسيئوا الخدمة ، فيصوبوا النبيذ والمرق على ثيابهم الجميلة وعلى أكتاف السيدات العارية ، ثم سيفسدون على الضيف نوسهم ، فيضعون الضفادع في الأسرة ، حتى إذا كان الغد واحتشد الأشراف والشعب لامضاء عقد الزواج صدرت إشارة ، فألقى كل إنسان أنفه الصناعي ، وأظهر الأشراف جميعاً أنوفهم الطبيعية وأعلنت الثورة ، ورأى الأمير أنه وحده صاحب الأنف الضخم القبيح . وهم يتفقون على هذا كله ، وقد استمع الأمير لبعضه أثناء سروره أمام المطبخ فاتبج له ؛ لأنه كاره لهذا الزواج ، يريد ألا يتم .

ثم يعرض علينا مقدم الأميرة ، وقد خرج الملك لاستقبالها في بعض الطريق ؛ فلم يكذب يتلقاها ويتحدث إليها ويظهر لها صورة الأمير حتى تراعى الفتاة حين ترى هذا الأنف ، وحين تعلم أن الأنوف كلها في مورافيا على هذا النحو من

البشاعة . ويزداد جزعها حين يعرض عليها الملك أنفاً صناعياً تخفى به أنفها الصغير الجميل . وهي تثور وتمتنع وتحاول أن ترفض هذا الزواج ، ولكن وزير أبيها يذكرها بأنه الزواج أو الدير ، فتدعن كارهاة ، وتضع أنفها الصناعي كما يضع رجال حاشيتها ووصائفها أنوفهم الصناعية . وتصل إلى القصر وهي تتمنى ألا يتم هذا الزواج بشرط ألا تكون هي مصدر هذا الاخفاق حتى لا تضطر إلى الدير . وقد احتاط أبوها الملك واحتاطت معه دولة القوقاز لهذا النكر الذي ستدفع إليه الفتاة ، فألحق بحاشيتها ضابط رشيق وسيم ليكون في خدمتها ولبعزيمها عن حياتها تلك المنكرة . وقد أخذ هذا الضابط يتقرب إليها ، وأخذت هي تطمئن إلى دعابته ، ولكنها ربما فكرت في أن تهرب مع هذا الضابط إلى حيث يعيشان عيشة الحب والسعادة بعيدين عن هذه الأنوف الكبار . وقد بلغت الأميرة القصر واستقبلها الأمير استقبالاً فاتراً متكلفاً ، أنكر أنفها ، وأنكرت أنفه ، وتمنى كلاهما ألا يتم هذا الزواج . ثم كانت الوليمة ، وأقبل الخدم وهم من وجوه الدولة ، فقدموا أردأ طعام وخدموا أسوأ خدمة ، وهم بعضهم أن يصيب النيذ على الأميرة فينتقيه الأمير بيده ، وهم آخر أن يميل قنديله ليسقط على كتف الأميرة الشمع المذاب ، فيضع الأمير يده على كتفها ليتلقى هذا الشمع ، وتدعر الأميرة لذلك قتلطمه ، ويوشك الأمر أن يفسد لولا أن الوزير يرمق الفتاة فتذكر الدير ، ولولا أن المرضع تمس الأمير فيذكر حاجة الدولة إلى المال .

وتمضى السهرة على شرحال . وتمر الأميرة بالمطبخ مستخفية حين يتقدم الليل فتسمع الأشراف وهم يتخذون قراراتهم الأخيرة لاتمام الثورة ، فتبتهج بهذه القرارات ، وتنضم إلى المؤتمرين ؛ لأنها لا تريد أن يتم الزواج ، ولأنها لن تحتمل تبعه الاخفاق إذا كانت الثورة . ولكن وزير أبيها محتبئ كما كانت محتبئة ، وهو يسمع لما سمعت له ويندس بين المؤتمرين ، حتى إذا أجمعوا أمرهم أعلن إليهم أنه مكلف أن يزوج الأميرة من وارث العرش في مورافيا كائناً من يكون ، فاما أن يقبل أخو الملك ، أن يتخذ الأميرة لنفسه زوجاً ، وإما أن يفضح هذه الثورة قبل وقوعها . هنالك يتقدم أخو الملك معلناً اغتباطه بهذا الزواج ، ويسقط في يد الأميرة ، فهي بين اثنتين : إما أن تتزوج الأمير الشاب وأنفه الكبير ، وإما أن تتزوج الأمير الشيخ وسنه التي تشرف به

على الهرم والفناء . فان لم تقبل هذا ولا ذاك ، فهو الدير . وهي مقتنعة بأن ليس لها بد من الهرب ، فهي تأمر الضابط بأن يهيئ لها وسائل الفرار ، والضابط كاره لذلك ، فهو لم يرسل ليحتمل تبعات الحب الحر ، وإنما أرسل ليكون خليلاً لولية العهد ، ثم خليلاً للملكة حين يرق زوجها الأمير إلى العرش . ولكنه مع ذلك يظهر الطاعة ويسرع إلى الوزير فيظهره على جليلة الأمر ويطلب إليه أن يجتاط لمنعهما من الهرب . وقد خلت الأميرة إلى نفسها آخر الليل في غرنة من غرفات القصر . ولم تكد تدخل هذه الغرفة حتى رأت جماعة من التماثيل قد وضعت لها أنوف ضخام . وهي نائبة فتضرب أنوف هذه التماثيل حتى تسقط وتترزع أنفها الصناعي وتمعن في البكاء . ويمر الأمير فيسمع نجيبها فيدخل الغرفة ، ولا يكاد ينظر إلى الفتاة ويرى أنفها الطبيعي الصغير الجميل ، حتى يأخذه دهش أي دهش ، وإذا هو ينزع أنفه المستعار . وترى الفتاة فيه شاباً أنيقاً وسيماً ، وهو يعطف على الأميرة عطفاً لا حد له ، فقد عرف أنها مثله قد ابتليت بأنف صغير ، وأنها تحفى مثله هذه الآفة بأنفها الصناعي ، فهو يجيبها لأنها شريكته في هذه الحنة ، فأنوف الناس كلهم كبار إلا أنفه هو . وهو من أجل ذلك مضطر إلى أن يتخذ هذا الأنف الصناعي ليخفى به عاهته . وتحاول الأميرة أن تقنعه بأن أنوف الناس كلهم صغار ولكنه لا يقنعه . والمهم هو أنه أحبها لأن لها أنفاً صغيراً كأنفه الذي كان يخفيه . وهي تحبه لأن له أنفاً طبيعياً كأنوف غيره من الناس . ويقبل الضابط وقد هباً للهرب كل شيء ، ولكنها تعلن إليه أنها لن تقبل . ثم نرى الجمع قد احتشد من غد لامضاء عقد الزواج ، ونرى عرش الملك مضطرباً كما رأيناه من قبل ، ونراه يسند بقطع الخشب ، ونرى المائدة التي سيمضى عليها العقد مضطربة قد قصرت قوائمها ، فما تزال تسند بقطع الخشب والمجلدات الضخام حتى تستقر وقد ارتفعت فلم يحتاج الملك أن يجلس ليضى العقد ، وإنما هو يمضيه قائماً متطاولاً . ثم تصدر الإشارة التي اتفقت عليها فتلقى الأنوف الصناعية كلها ويظهر الناس بأنوفهم الطبيعية الصغار . ويطلب أخو الملك إلى الأمير الشاب أن يعتزل ولاية العهد ؛ فما ينبغي لملك مورافيا أن يكون مشوه الخلق . وما ينبغي أن يملك على هذه الأرض من أكره الشعب في سبيله عشرين عاماً على حمل هذه الأنوف المستعارة البشعة . هنالك يلتقي الأمير أنفه الصناعي

ويظهر كما خلقه الله شابا وسيما جميل الأنف ، ويضطرب الناس ويميلون إليه . ولكن أخوا الملك يعلن أن هذا الفتى ليس ولى العهد ؛ فقد ولد ولى العهد كبير الأنف ، وأثبت الأطباء ذلك وصدر القانون بحمل الأنوف الكبار من أجل ذلك . والملك نفسه دهش فهو يعلم أن ابنه ولد كبير الأنف ، ولكن الموضع تعلن الحقيقة ، وهى أن ابن الملك قد مات بعد ولادته بأشهر قليلة ، وأن أمه الملكة التى ماتت منذ عشر سنين قد اتخذت مكان ابنها طفلا صغيراً ، واتخذت له هذا الأنف الصناعى ، فعلت ذلك كله حبا للملك وإشفاقاً عليه أن تنتقل ولاية العهد من ذريته ، فيورثه ذلك حزناً عظيماً . وقد هضت الأميرة فألقت أنفها الصناعى، وأعلنت أنها لن تتزوج إلا هذا الفتى ، وأنها إن صرفت عنه فستؤثر الدير . هنالك يتجه الملك إلى الشعب والأشراف سائلاً ماذا تريدون ؟ أتريدون ملكاً من الأسرة المالكة ، أم تريدون ذهب القوقاز ؟ فيتلقى الجواب الاجماعى بأن الشعب يريد مال القوقاز . ويعلن الملك أنه تبنى هذا الفتى فأصبح أميراً شرعياً ولياً للعهد .

وكذلك تنتهى هذه القصة ، وقد عرضت عليك خلاصتها موجزة ، ولم أعرض عليك شيئاً من خصائصها الفنية التى تتصل بالاجراء والعرض ، وتلائم السينما بوجه عام . وقد رأيت ما فى هذه القصة من مغزى سياسى واجتماعى وخلقى ، ورأيت أن جان بول سارتر قد استطاع أن يذيع فى القصة الأولى من طريق الحد آراء فلسفية هى بعينها التى تؤلف فيها الكتب وتكتب فيها الفصول وتنشأ فيها المسرحيات ، واستطاع فى القصة الثانية أن يذيع من طريق الفكاهة آراء فلسفية ليست أقل خطراً من الآراء التى أذاعها فى القصة الأولى من طريق الحد ؛ فحد السينما وهزله كحد التمثيل وهزله ، وكجد الكتاب والمقالة وهزله يمكن أن يكونا وسيلة من وسائل التصوير والتعبير التى تحقق المصلحة المنتجة المحمدية بين الجماعة وبين الأديب .